عصابة روتشيلد

١ – أميرهس كاسل يبيع الشعب ليهود فرنكفورت .
٢ – إنجلترا تخطف أفراد الشعوب وتجندهم لاستعمار أمريكا
٣ – فلاسفة أوربا يشهدون على الإنجليز واليهود باللصوصية .
٤ – اليهود يدخلون من القاع ويخرجون من القمة .

للأستاذ محمد محمود زيتون

انتصف القرن الثامن عشر وما تزال الثروة العامة محصورة فى استغلال الضياع ، أو المعادن المسيطرة على الأسواق ، وليس من سبيل إلى الغنى سوى امتلاك الأرض ، وتوفير المال ، والتعامل بالربا ، فكان من الطبيعى أن يكثر المال فى أيدى أصحاب الثراء ، بينما يكاد ينعدم عند الكثيرين ، مما أدى إلى استغلال ذوى الحاجة ، ودعا إلى الغبن والاحتكار .

وهناك فى مدينة فرنكفورت، عرف « ماير أنسلم روتشيلد » فى حى اليهود — بتجارة الأوسمة والأحجار الكريمة ، وأفاد من تعدد العملة فى الدويلات خبرة بشؤون النقد .

وأصبح « الكونت هاناونزج » - الصديق الحميم لليهودى روتشيلد — أميراً على « هس كاسل » فكان له حق التصرف فى رعيته ، ولا يسأل عما يفعل بهم ، فهو يجندهم ثم يبيعهم — كقطعان الغنم — للدول الأجنبية تستخدمهم فى حروبها الطاحنة .

وكان التنافس فى الاستعمار بين إنجلترا وفرنسا على قدم وساق ، بيد أن إنجلترا قد بذلت الجهود الجبارة فى طرد فرنسا من أمريكا الشمالية لتكون لها خالصة ، وتنفرد هى باستعمارها ، فاستعانت بأمير « هس كاسل » تشترى منه شعبه الجند لتحقيق مطامعها .

لم يكن الأمير لينسى فضل اليهودى عليه وما بذله من أجله لدى معارفه من أصحاب المصارف فى فرنكفورت لتخليص ثروته الطائلة يوم فر بها من وجه نابليون سنة ١٨٠٦ ، ولو لم يكن غير هذا سبباً للمصادقة لكفى ، ولكن الأواصر قد توثقت بدوام النصائح العملية التى كان يسديها روتشيلد إلى صديقه الأمير ، فضلا عما تميز به اليهودى من حذق بالغ فى تدبير المال ، وشح وصل بصاحبه إلى حد الجنون ، وسيطرة نافذة على أسواق فرنكفورت . أضف إلى هذا كله ما بين الرجلين من تقارب فى الميول لاستثمار الأموال .

لهذا وضع الكونت كل ثقته فى روتشيلد واستخدمه وكيلاً عاما لشؤونه المالية، من باب عرفان الفضل لذويه ، فأبدى من المهارة فى عمله ما جعله أحدوثة التجار فى حى اليهود ، وتقاطرت على الأمير طلبات القروض المالية من حكومات الدانمارك وهسى دار مستان وبادن ، كما تكاثرت عقود استئجار أفراد شعبه ، وهو يقدمهم لإنجلترا كأنهم رءوس من الغنم يدفعها إلى (سلخانة) الحرب الاستعمارية قطيعاً بعد قطيع .

ولم يكن تقديم هذه القطعان البشرية على هذا النحو جريا وراء انتصار لحق ، أو رغبة فى اقتسام مغنم ، أو بمجرد الحب الصافى لأصحاب العيون الزرق ، وإنما هو المال ولا شىء سواه .

كانت إنجلترا تستأجر — أو بالأحرى تشترى — قطعان هس كاسل بثمن ، والأمير بدوره يدفع لهم أو لعائلاتهم ثمناً بخساً فى حالة الحرب ، أما المصابون بجراح أو عاهات تقعدهم عن كسب العيش ؛ أما الذين تودى بهم الحرب إلى دار الفناء ، فإن إنجلترا تدفع عنهم للكونت التعويضات المناسبة ، التى يعود معظمها عليه وعلى وكيل ماليته بالذهب الغزير .

وليس فى هذا أى غضاضة ما دامت المقاييس المعاصرة تبررها ولا تستنكرها ، فإنما هو كسب تجارى ، والمكسب هو الفرق بين ثمن البيع وثمن الشراء ، وليس يهم بعد ذلك إذا كانت السلعة جماداً أو نباتاً أو حيواناً أو إنساناً فهى تجارة تؤدى إلى ربح ، وهذا هو المطلوب .

وتجارة كهذه لا بد أن تدر المال الكثير وتجلب الثروة الضخمة ، مما جعل للرجلين صفة ممتازة عند الحكومات الأجنبية التى تتعامل معهما ، ولا سيما تلك السمعة الطيبة التى ظفروا بها فى جميع الأوساط من حسن المعاملة ، والوفاء بالتعهدات ، وتنفيذ الشروط المتفق عليها ، بالشرف والأمانة ، من غير غش أو تزوير .

أما المحاربون وعائلاتهم فليس لهم أن ينبسوا ببنت شفة ما دام أميرهم هو السيد المطاع الذى امتلك أرواحهم وأجسادهم يوم

امتلاك الأرض بما عليها ومن عليها ، فهو يبيعهم ويشترى ، كيف يشاء ومع من يشاء ، فإذا أعطاهم رواتبهم ، ولذويهم التعويضات بعد موتهم ، فذلك فضل منه .

وكان روتشيلد يخشى أن تتبدد الثروة بعد وفاته بين ذرية وأزواج بناته ، فسارع إلى بيع متجره لبنيه الخمسة الذين عرفوا معه فى التجارة ، وضربوا فى البلاد طولاً وعرضاً ، للسيطرة على زمام المال عبر البحار ، واحتكار الأسواق ولضمان ذلك أنشأوا نظام « المراسلة » للوقوف على الحركات المالية بين مدها وجزرها وبهذا ظلت ألاعيبهم طى الكتمان ، وبمأمن من عواصف المضاربات .

ومات شيخ التجار اليهود فى فرنكفورت سنة ١٨١٢ وترك هذا التراث الضخم لأرملته وبنيه وبناته ، فأكبوا على المال يستثمرونه بكل طريق مشروع ، وحرصوا كل الحرص على خطة أبيهم ، واتبعوا وصيته ، وعضوا بالنواجذ على تقاليد الأسرة ، وساروا خلف أبيهم : وقع الحافر على الحافر .

واقتسم الإخوة أرجاء القارة فيما بينهم ، فأقام ناتان بلندن ، وجيمس بباريس ، وماير بفرنكفورت ، وشارل بنابلى ، وسليمان بفينا ، وهكذا أحكموا ثقوب المصيدة على أوربا التى لم تلبث حكوماتها أن وقعت كالفيران واحدة تلو الأخرى فى حبائل روتشيلد .

كانت العصابة اليهودية تعتنق مبدأ « ادخل من الحضيض لتخرج من القمة » ومن أجل هذا التمست كل سبيل إلى هذه الغاية . وأخذ اليهود الخمسة أنفسهم بتحقيق أغراضهم ، وإن شطت بهم الديار ، وبعد المزار ، وعلى ضوء التعليمات الآتية دخلوا من القاع :

أولا : يندمج أبناء روتشيلد اندماجاً كليا فى البلاد التى يقيمون بها ويتعرفون على دقائق الحياة فيها .

ثانيا : مصلحة روتشيلد أولا ، فيهود فرنكفورت ثانياً ، ثم اليهود عامة ، ومن بعد ذلك الطوفان .

ثالثاً : لليهود وحدهم تكون الأميال والأموال .

رابعاً : التعاون مع الحكومات تعاوناً إيجابياً يكون من شأنه تحقيق أهداف روتشيلد وليكن بعد ذلك ما يكون .

خامساً . ليس لأحد الإخوة الخمسة أن ينقد خطة الآخرين ، وفى حالة الفشل يتعاون الجميع على انتشاله .

سادساً : اتخاذ كل الطرق المؤدية إلى النجاح ولا سيما بالرشوة والدس والإلحاد والدعارة والسرقة والتقتير ، وما يستحدث بعد ذلك من أساليب .

سابعاً : المال .. المال .. المال .. ولا شيء إلا المال .

وفى الحق أن الإخوة الخمسة كانوا أمناء على هذه التعليمات : كل فى دائرة عمله ، وكانوا من النشاط بحيث فاقوا القردة والثعالب خفة ودهاء .

كان (ناتان) مقيماً بإنجلترا منذ أسند إليه أبوه عملا ماليا هاما ، واتفق أن ضرب الحصار القارى على المانش ، وخشى (ناتان) عواقب التهريب ، على أن نابليون لم يكن يسمح بالتهريب إلا فى حدود ضيقة وذلك فقط إرضاء للحلفاء ، وإلا تحطمت الصداقة على هذه الصخرة المائية ، فى مثل هذا التوتر السياسى الذى ساد العلاقات الدولية آنذاك .

وأغلق الباب فى وجه ولنجتن بجنوده فى فرنسا ، وأعوزته النفقات تأتيه من إنجلترا ، وكان الإنجليز فى حيرة من أمرهم ، وتنازعهم الخوف والرجاء : الخوف من تسرب المعادن النفيسة إلى الخارج ، والرجاء فى توصيل المال إلى ولنجتن .

أما ناتان فقد ائتمنه أحد النبلاء الإنجليز على أموال طائلة فى فترات متعاقبة بغية أن يستبدل بها كميات من الذهب والفضة لتهريبها إلى فرنسا عبر المانش ، وعرف ناتان من أين تؤكل الكتف ، فاتصل بأخيه جيمس ووصاه بالمبادرة إلى الحصول على ترخيص من ولاة الأمر بباريس لدخول رسائله وبذلك ضرب ناتان عصفورين بحجر ، وحصل على مبالغ طائلة من وراء التهريب .

وفى هذه الفترة كانت المالية الإنجليزية فى عجز شديد ، واضطراب بالغ ، ولم تدر إنجلترا من أين تشترى الذهب ، وبالتالى كيف تنقله إلى جنودها فى الخارج ، وبرز ناتان فى الميدان ، وسرعان ما استعان بجيمس الذى لعب دوره فى السوق المالية حيث اشترى جميع الأموال الفرنسية التى أتخمت أوربا . ونجح ناتان فى نقلها إلى إسبانيا وإلى النمسا ، وقد عادت هذه العمليات عليه بأرباح تذهل العقل ، مع أنه لم يلجأ إلى تحويل العملة عند

النقل كما أنها لم تتعرض للأخطار من أي نوع ، ووصلت سمعة شركة روتشيلد إلى قمة الثقة لدى جميع الحكومات .

وخيمت الغيوم السياسية على جميع أوربا ، ومنيت الحالة المالية في كل مكان بالهبوط السريع المؤدي بالحكومات إلى الهاوية السحيقة ، وإزاء هذه الحالة انفردت عصابة روتشيلد بالقدرة على سد الحاجة ، فأخذت تقرض بالربا الفاحش . وتختص بقروضها ما تشاء من الحكومات ، وتحتكر الأسواق المالية .

ولما فرض التعويض الحربي على فرنسا وتحتم نقله عبر أوربا ، لم تجرؤ إلا شركة روتشيلد فتعهدت بالمهمة وقامت بها خير قيام . وربحت من جراء ذلك بنسبة واحد ونصف في المائة من عشرين مليوناً من الجنيهات أو أكثر ، علاوة على ما ظفرت به من شكر حار وجهه إليها وزير إنجلترا ، لقاء خدماتها التي تنوء بالاضطلاع بها على جميع الشركات وإن كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وهذه حكومة النمسا تئن تحت ديونها الفادحة للمصارف النمسوية . فتعهدت عصابة روتشيلد بنقل نصيبها في التعويض الحربي ، بل أقرضت النمسا الأموال التي كانت في حاجة إليها . مما حدا بإمبراطور النمسا إلى أن يخلع على العصابة ألقاب الشرف ، وسمح لها بتأسيس فرع لها في فينا ، قام على شؤونه (سليمان روتشيلد) .

وامتدت أيدي الأشراف في النمسا وبروسيا وروسيا إلى الاستدانة ، مما أنعش حركة القروض في فرعي فينا وفرنكفورت على نحو ظاهر .

وقامت في نابلي ثورة أهلية فبعث (مترنخ) حملة لإخمادها ، وفرض على الثوار غرامة مالية باهظة ، فطلب من (شارل روتشيلد) أن يدبر المال المطلوبين على أمرهم مع مراعاة مصلحة النمسا في هذا الإقليم . ولكن شارل سليل روتشيلد — تلك العصابة اليهودية التي تحددت أهدافها — كان وفيا للتعليمات ، حريصاً على المبدإ ، ولو على حساب (مترنخ) بل النمسا التي زرعته برفق فاقتلعها بقوة .

اندس شارل في أوساط نابلي كما تندس الأفعى في أحضان عش دفيء ، وسعى سعياً حثيثاً في مقاومة الاحتلال النمساوي . وفتح خزائنه للمقترضين عسى أن يعتدل الميزان الاقتصادي ، ولكنه على العكس انقلب رأساً على عقب ، وزادت الحالة سوءا ، وجاء شارل وأعماها ، من حيث أرادت أن تكتحل بماله عيناها ، ولم تنل من الأصفر الرنان ، غير الرنين الطنان . وعجز الحاكمون عن إصلاح ما أفسد الدهر وشارل ، ولكنه توارى بالحجاب ، وداعب العيون ببريق الذهب ، فتهافتوا عليه تهافت الفراش على النور ، فاصطلوا بالنار .

هكذا كان شارل ؛ فقد سنحت له الفرصة « الذهبية » واغتنم احتياج النمسا إلى المال فأرغمها على تعيين نائبه وزيراً المال ، فكان له ذلك ، واضطر بركب الصعب من الأمور ، وقام الوزير بتعديل يسير تلاه قرض ظفر به للنمسا من إنجلترا ، فتحسنت الحالة ، وتألق نجم شارل حتى اختاره البابا مديراً لأمواله تقديراً لخدماته التي تذكر فتشكر ، وما كان أغنى شارل عن وافر الشكر ، وعاطر الذكر ، ولكنه يعمل حيثما كان في سبيل المال لنفسه ، أما إذا كان لليهود فسعيه في سبيلهم مشكور وهو على ذلك غير مأجور ولا مأزور ، وبحسبه هذا الحرص على تعليمات روتشيلد ، يرعاها ويعض عليها بالنواجذ .

وأنشأ (جيمس) مصرفاً في باريس ، تقاطرت عليه طلبات القروض ، فربح من ذلك ثروة جعلته في أسرع وقت أغنى رجل في فرنسا بعد الملك ، وصارت عصابة روتشيلد أخطر على البلاد من سائر الدول الأجنبية بعد إنجلترا ، التي أهوت بفؤوس الخراب على رأس فرنسا ، فجاءت روتشيلد تحصد ما تبقى من يابس وأخضر .

وكان لسليمان في النمسا وجهته ، ولكل وجهة هو موليها ، فقد ساهم في المنشآت العامة كالطرق الحديدية والمناجم ومصانع الألغام ، وما كان هدفه من وراء ذلك إلا المال ، ولا شيء إلا المال ، ولما اعتزم مترنخ إعلان الحرب على بلجيكا أعوزه المال وفي ظنه أن خزائن سليمان منه على مد اليمين ، ولكن خاب فأله إذ رفض سليمان ، ولم يكن بد من العدول عن الحرب .

هذا وعصابة روتشيلد لا تتوانى عن إمداد اليهود بكل ما يخفف ويلاتهم ، ويثبت قواعدهم ، ويجمع شملهم الشتيت ، يبذلون في ذلك المال بسخاء ، وبدون قيد أو شرط ، أما المثل العليا والحركات الناهضة ، والمشروعات العامة ، فذلك بعيد عن رسالتهم ولا يتمشى مع اتجاهاتهم بسبيل ، فلا يولونه غير أذن من طين وأخرى من عجين .

كانوا من الذكاء إلى حد استغلال الخرافات والأساطير للسيطرة على أوهام الناس ، وجذب الأنظار إليهم ، فقد اقتضاهم نظام المراسلة التي أنشأوه تكاليف طائلة هانت كلها أمام بحثهم في نقل خبر هزيمة نابليون في (ووترلو) قبل شركات الأنباء بيوم ، فتمكنوا من تكييف أعمالهم المالية حسب الظروف ، وكسبوا أيضاً قصب السبق في نقل الأنباء .

وسرعان ما دخلوا من القاع ، وعجلان ما خرجوا من القمة ، وتربعوا على كراسي الحكم في يسر ، وامتزجوا بطبقات الأشراف عن قرب ، وطاردتهم فلول المعارضة ، في كل مكان ، فلم تلبث أن أعياها الكلال ، وأجهدها اللحاق ، ففي النهاية آثر المخلصون أن تزداد الحالة سوءا بأيدي المواطنين الكاثوليك ، على أن عتد إليها بالإصلاح أيدي الأجانب اليهود ، ولكن ما الحيلة ؟! ... العين بصيرة ، واليد قصيرة ، وروتشيلد كالأخطبوط آخذة بخناق أوربا ، ومركزها في جميع الأرجاء وطيد بحيث تفزع إليها الحكومات كلما حزبت الأمور ، واشتدت الأزمات وما أكثرها كما أن الدول لا تطمئن إلا لها في نقل التعويضات إلى حيث تشاء عبر أوربا وهي بمنجاة من الخسران .

ومع هذه الثروات الضخمة التي كدسوها من الربا والثمن والاحتكار لم يحاولوا الظهور في ميدان النظم الاقتصادية الحديثة القائمة على أسس علمية ، فما كان أبعدهم عن هذا المضمار نظريا وعملياً ، وما كان أقربهم من الحركات الرجعية الضاربة بعروقها في أعماق الشيح والأثانية

فقد اكتشفت مناجم الذهب ، وفاضت منابعه ، وامتدت الطرق الحديدية ، وتعددت الثروات واتسعت المصانع ، وانتهبت الضحايا — وهي في الرمق الأخير — إلى الذئاب السود وقد ولغت في دماء أفراد الشعوب ، وتشدقت بأشلاء حكومات الدول .

وعندئذ انكمشت العصابة السوداء في أوكارها ، وبدأت تم شعثها في الخفاء ، ولكن أذنابها لم تزل حتى يومنا هذا تفعل أفاعيلها في لندن وباريس وفرنكفورت وفينا ونابلي . ولما كان ثانان أكثر الإخوة نشاطا ، فقد لزم أن تكون لندن مركز هذا النشاط . ومن هنا كان على إنجلترا أن تتبنى سياسة عصابة روتشيلد ، مسترشدة بأساليبها ، مقتفية آثارها ، ولا سيما بصدد الاستعمار : وليدة اللصوصية اليهودية ، وسليل الاتجار بالقطعان البشرية .

وتم التناسخ بين اليهود والإنجليز ، وصعب على الناس التمييز بينهما ، فإذا قالت إنجلترا « تمكنت فتمكنت » تبادر إلى الأذهان أنها ترجمة حرفية لمبدإ « ادخل من الحضيض لتخرج من القمة » .

وسيذكر التاريخ بمزيد الإعجاب فلاسفة أوربا المعاصرين أمثال (زهاروف)، و(ليفنسون) و(ميبرز)،و(وارشو)، و(هارولد لاسكي) و (شارل فرانسز) ، و (هنري آدمز) ، و (ولز) وغيرهم من الباحثين في تاريخ الثروات ووسائل تحصيلها وعوامل التضخم المالي في أوربا وأمريكا ، وما خلت الحركات المالية قط من أصابع اليهود الذين أمسكوا بعجلة التقدم ، فعطلوا العالم عن بلوغ أهدافه السامية ، وعكروا صفو السلام السياسي والاقتصادي ، وإلى هؤلاء الباحثين يرجع الفضل في الكشف عن أسرار الخراب الأوربي في القرن الماضي ، وبحسبهم أنهم رفعوا النقاب الأسود عن وجه القارة ، وتتبعوا الأساليب اليهودية في كل مضمار ، ووقفوا على خبايا الاستعمار ، وخفايا السياسة « الأنجلو يهودية » مع الدقة والإخلاص في الشرح والتشريح .

ولسنا نجد أقرب من الكاتب الفيلسوف (هـ . ج . ولز) وهو إنجليزي لحماً ودماً وهو يشهد أمام محكمة التاريخ فيقول : « وإذا قامت أسرة روتشيلد بتحرير اليهود فإنما تحرر نفسها ، وستسترد ما تنفق من مال بفضل تعاون اليهود الذي يقتضيه فعل المعروف ، ويظهر أن ولاءهم لبني جلدتهم كان غريزة ركبت في طبعهم ، كاتحادهم الطائفي ، ودأبهم على العمل ، على الرغم من أن رسائلهم وأساليبهم العملية لا توحي للباحث بهذا الرأي » .

وليتأمل معي كل بصير هذه العبارة « وستسترد ما تنفق من مال » ولنذكر إلى جانبها عبارة أخرى للكاتب الفيلسوف يصدد تبرير هذه السياسة إذ يقول « إن أعمالهم كلها عادلة تبررها مقاييس العصر » ، وهكذا صدق المثل العربي « إن العصا من العصية وهل تلد الحية إلا حية » .

ليت العرب يعلمون هذا ، ويعملون بقول شاعرهم :

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها

إن كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا

محمد محمود زيتون